يوميات الشرق

شارع طلعت حرب... بؤرة تحولات القاهرة وعنوان تاريخها المتألق بانتظار خطة لاستعادة مجده ونفض غبار العشوائية والإهمال عنه



«ميدان طلعت حرب»... محور رئيسي وسط القاهرة الخديوية (تصوير:عبد الفتاح فرج)

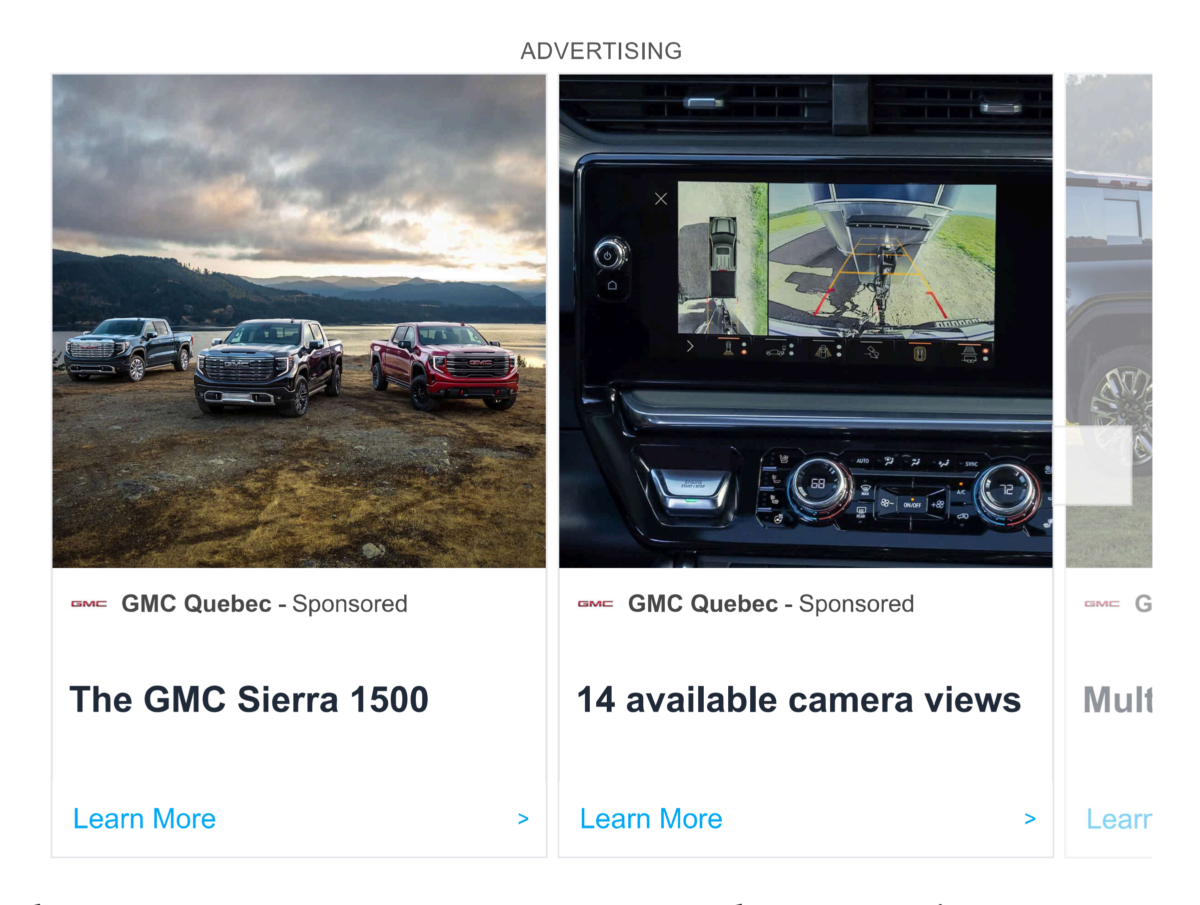
القاهرة : محمد الكفراوي

نُشر: 12:40-4 ديسمبر 2024 م .03 جمادى الآخرة 1446 هـ

يقطع شارع طلعت حرب باسمه ورسمه الأيقونيَّين وسط العاصمة المصرية القاهرة، محمَّلاً بعبق التاريخ الذي يُطلُّ من شرفات بناياته العتيقة، متقبلاً بكل أريحية المزاج المتقلب للمدينة العريقة، والنتوءات التي تتركها نغزات أهلها على أرصفته المرهقة.

«أنا أقدم واحد في العمارة دي»... لم تكن العبارة التي أطلقها عادل إمام وهو يلعب دور «زكي الدسوقي» في فيلم «عمارة يعقوبيان»، واقفاً في منتصف شارع طلعت حرب، مشيراً إلى البناية التي يسكنها، مجرد صرخة يائسة من عجوز سكران، بل بدت نوعاً من التأسّي على ماضٍ مشوّق، واستقراء لواقع مرير، ومقاومة تعيسة لمستقبل غامض يحيط بقطعة أثيرة في قلب المدينة.

ADVERTISING



واشتهر شارع طلعت حرب بأنه كان موطناً للباشوات والبكوات منذ إنشائه في 1873 تقريباً مع تخطيط القاهرة الخديوية على يد الفرنسي هاوسمان في عصر الخديو إسماعيل، تحقيقاً لحلمه أن تصبح القاهرة «باريس الشرق».

ويدخل شارع طلعت حرب ضمن خطة لتطوير منطقة وسط البلد (القاهرة الخديوية) تضم 500 عقار ذات طراز معماري فريد، يجري ترميمها بالتنسيق مع جهاز التنسيق الحضاري، وفق مسؤولين بمحافظة القاهرة، معتبرين كل عقار بوسط البلد يحكي تاريخاً ومواقف كان شاهداً عليها.



شارع طلعت حرب في فترة الثمانينات (صفحة «مصر جميلة» على «فيسبوك»)

الشارع الذي كان يحمل اسم «سليمان باشا» ما زال يحتفظ بسماته القديمة في أركان محدودة من بينها النادي الدبلوماسي في تقاطعه مع شارع عبد السلام عارف، (الرئيس العراقي الأسبق)، والنادي اليوناني في الميدان الذي يتقاطع مع شوارع قصر النيل وصبري أبو علم ومحمود بسيوني، و«مقهى ريش» الذي لعب دوراً في ثورة 1919، حيث كانت المنشورات المناهضة للإنجليز تُطبع في سرداب المقهى، وفق مؤرخين معاصرين.

ويعد هذا المقهى ذا طابع خاص، حيث كان ملتقى أهل الفكر والأدب لفترات طويلة، ومن بين رواده المشهورين كان نجيب محفوظ والعقاد ويوسف إدريس وأمل دنقل، وما زال يحتفظ بصورهم معلقة على حوائطه، تماماً كما يحافظ على الأزياء الرسمية لنادليه كما كانت في عصور سابقة.

وفي خضمّ موجة التطوير التي تشهدها القاهرة الخديوية راهناً، وفي مقدمتها شارع طلعت حرب، أعلنت شركة «الإسماعيلية» القائمة على التطوير (وهي شركة خاصة تعمل في الاستثمار العقاري والتنمية، أخذت اسمها من الخديو إسماعيل، منشئ القاهرة الخديوية، حسب تصريحات صحافية

لرئيس الشركة) استعدادها لتطوير عدد من المشاريع خلال نهاية العام الجاري 2024 منها المبنى الذي يقع فيه مقهى «ريش» الشهير، على غرار ما جرى من تطوير لمبنيي «سينما راديو»، و«القنصلية الفرنسية».

و«يعدّ هذا الشارع محوراً أساسياً في شبكة الطرق الخاصة بالقاهرة الخديوية»، وفق أستاذة العمارة والتصميم العمراني بكلية الهندسة في جامعة القاهرة الدكتورة سهير حواس، قائلة لـ«الشرق الأوسط»: «من التحولات التي طرأت على هذا الشارع هو اسمه الذي تحوّل إلى (طلعت حرب) بعد أن كان اسمه (سليمان باشا)، نسبةً إلى سليمان باشا الفرنساوي مؤسس أول مدرسة حربية في مصر».



تطوير البنايات في شارع طلعت حرب خلال نهاية هذا العام (الشرق الأوسط)

بمرور طبقات وعقود من الزمن، تحوّل الشارع الذي يقطع منطقة وسط البلد بطول 3 كيلومترات، من ميدان التحرير غرباً إلى شارع 26 يوليو شرقاً، إلى ملاذ للطبقة الوسطى، وربما للباعة الجائلين والحرفيين والمحال التجارية التي تقدم بضاعتها بين طبقتين: إما متوسطة في طور التآكل، وإما فوق متوسطة ما زالت تحتفظ بوحداتها القليلة النادرة في ممراته ودهاليزه الخفية.

وكان الخديو إسماعيل قد منح حق البناء في الشارع وحدد مبلغاً لإنشاء البناية لا يقل عن 3 آلاف جنيه (كان الجنيه المصري في ذلك الوقت يعادل 5 دولارات)، وفق عباس الطرابيلي في كتابه «شوارع لها تاريخ»، وهو مبلغ ضخم مقارنةً بمعايير اليوم، حتى يضمن الخديو أن تكون بناياته فخمة، تليق بالحي الجديد الذي يشرع في إنشائه على الطرز الأوروبية، وفي القلب من هذا الحي يتربع قصر عابدين مقر الحكم الجديد بديلاً عن القلعة.

ويشير محمود التميمي، صاحب مبادرة «أرواح في المدينة» التي تستدعي التراث الثقافي للقاهرتين الفاطمية والخديوية إلى أن «كل شارع في مصر يحمل قطعة من التاريخ، وشارع طلعت حرب تحديداً شاهد على أحداث وتحولات تاريخية مهمة في مصر».

ربما لا يزال شارع طلعت حرب يحتفظ بنتفٍ من الوجاهة القديمة التي كان يتمتع بها، من دور عرض سينمائي مثل: «ميامي» و«مترو» و«راديو»، ومقاهٍ ومطاعم مثل «الإكسلسيور» و«جروبي» و«الأميريكين» و«ريش» و«استوريل»، ومكتبات لها ثقلها مثل «مدبولي» و«الشروق» و«المصرية اللبنانية» و«دار العين» في ممر بهلر المتفرع من طلعت حرب، ودار «المدى» العراقية التي افتتحت فرعاً لفترة في الشارع العريق.

لكن اللافت فعلا حجم الزحف لمحلات شعبية أو شامية على الشارع، بالإضافة إلى «مول طلعت حرب»، لتواجه محلات يقترب عمرها من مائة عام مثل «قويدر» و«الإكسلسيور»، الأمر الذي وضعه على رأس قائمة المتنزهات الليلية للعائلات المصرية في الشرائح الأدنى من الطبقة الوسطى.

تحولات عنيفة شهدها الشارع الأشهر بوسط المدينة، واكبت الثورات والحركات السياسية الكبرى، بدايةً من «ثورة 23 يوليو» 1952، وتغيير اسمه من «شارع سليمان باشا»، وإزالة تمثاله من ميدانه السابق وإحالته للتقاعد بالمتحف الحربي في القلعة، واختيار اسم رائد الاقتصاد المصري في عشرينات القرن الماضي ومؤسس بنك مصر طلعت حرب عنواناً للشارع، ليوضع تمثاله في ميدانه الحالي.

وتوضح أستاذة التصميم العمراني أنها كانت مع الرأي القائل ببقاء الشارع والميدان على اسمه القديم؛ لما قدمه سليمان باشا من خدمات لمصر، واختيار شارع آخر باسم الرائد الاقتصادي طلعت حرب.



ممر «بهلر» وعماراته الشهيرة في شارع طلعت حرب (الشرق الأوسط)

ويكشف التميمي عن أن «هناك تمثالاً انتقالياً بين سليمان باشا الفرنساوي وطلعت حرب كان عبارة عن تروس وجزء من مصنع على هيئة عامل، لكن يبدو أنه أثار استياء المارة فجرى التغيير ووضع تمثال طلعت حرب مكانه».

كما يلفت إلى أن «هذا الشارع يمثل نقلة من الفطرة والعشوائية إلى التنظيم والتخطيط ضمن النسيج الحضري للمدن، وكان التخطيط على أساس شكل المدينة الباريسية، التي تعتمد على الطرق المستقيمة والميادين، على عكس القاهرة الفاطمية التي تعتمد على الانحناءات والتعرجات لتأدية وظائف معينة، وإغلاق الحارات في نهاية اليوم».

الشارع الذي يضم 3 أحزاب سياسية هي: «الناصري»، المشهور بتوجهاته المعارضة، و«الغد»، الذي شارك مؤسسه أيمن نور كلاعب أساسي في انتخابات رئاسة الجمهورية 2005 أمام الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، ويطلّ حزب التجمع على ميدانه جانبياً، ممثلاً لأفكار وتوجهات اليسار المصري، تحوّل

خلال أحداث 25 يناير (كانون الثاني) 2011 إلى بؤرة نشاط، وامتدت إليه الاشتباكات القادمة من ميدان التحرير، إلى أن أصبح أشبه بثكنة عسكرية.

وبعد عودة الأوضاع للهدوء؛ زحفت عشوائيات «العتبة»، و«بولاق أبو العلا» المعروفة بـ«وكالة البلح»، إلى قلب الشارع العتيق ليفترشه المئات من الباعة الجائلين ويجعلون حركة المرور فيه صعبة لفترة من الزمن.

هذا الزحف العشوائي لم يأتِ من فراغ؛ ولكن نتيجة تحولات عنيفة في البنية التاريخية لسكان الشارع، فقد تحول كثير من الوحدات السكنية فيه إلى ورش ومحلات خياطة ومخازن لبضائع رخيصة. وإن كان صاحب كتاب «مقتنيات وسط البلد» الراحل مكاوي سعيد يصف هذا الشارع بأنه «بؤرة للتحولات الكبرى ومرآة مصغرة لصورة مصر عبر عقود طويلة»، فليس أدل على ذلك من الحضور الكبير لطبقات جديدة صاعدة في بعض وحداته وبناياته التاريخية مثل «عمارة يعقوبيان»، فضلاً عن تحوّل غرف الغسيل أعلى العمارات الكبرى لغرف للإيجار أو مخازن للباعة ومحلات الأحذية والملابس التي تتناثر على جانبي الشارع.

لا تكمن أهمية هذا الشارع في تاريخه العريق فحسب، بل في موقعه الذي يجعله مركزياً ومحورياً في قلب القاهرة، حيث تتفرع منه شوارع عدة مثل «هدى شعراوي»، بسمْته المنظم، وعماراته القديمة التي لا تخلو من فخامة، ومحلات الأنتيكات. وشارع «معروف» بروحه الشعبية ومقاهيه البلدية، وضريح الشيخ معروف. وشارع «عبد الحميد سعيد» الذي يضم سينما وفندق «أوديون» وكذلك «مول طلعت حرب»، وشارع «عدلي» بسماته الكوزموبوليتانية، في أنماط بناياته وطرزها الفخمة والتراثية مثل المعبد اليهودي ومبنى وحديقة «جروبي» التاريخيين.

وتوضح أستاذة العمارة الدكتورة سهير حواس، أن «معظم مباني الشارع ذات قيمة معمارية متميزة ومسجلة طبقاً لقانون حمايتها رقم 144 لسنة 2006 من بينها مبانٍ تعلوها قبة، مثل عمارة يعقوبيان، وهناك ممرات داخلية، مثل ممر (بهلر) وممر (بابيك)، وشبكة من مسارات المشاة المموهة والمظللة»، وتوضح أن الشارع يتميز بـ«تعدد الطرز المعمارية الغربية ما بين (الأرتيكو) و(الباروك) و(الكلاسيك) وهو من الشوارع التجارية الترفيهية، فقد بُنيت عماراته بحيث تكون الأدوار الأرضية للمحلات والعلوية للسكن أو الشركات».



البنايات العتيقة تتناثر في الشارع الذي يربط ميدان التحرير بشارع 26 يوليو (الشرق الأوسط)

ويلفت صاحب مبادرة «أرواح في المدينة» إلى «الفاصل الحيوي بين القاهرة الفاطمية التي كانت تسمى الأحياء الوطنية، وتنتهي حدودها عند ميدان العتبة، والقاهرة الخديوية أو الأحياء الإفرنجية التي تبدأ من ميدان العتبة حتى نهر النيل».

وبدأ العصر الذهبي لتشييد عمارات القاهرة الخديوية في عهد الخديو عباس حلمي الثاني (1892 - 1914)، وتم إغراء أصحاب البيوت والقصور للتنازل عنها والنزوح إلى أماكن أخرى وتشييد عمارات مكانها، وفي عهد الملك فؤاد تم هدم فندق «سافوي» وكان من أشهر الفنادق في مصر وبُنيت مكانه عمارات بهلر الموجودة حالياً، وفق التميمي.

وكما تمتد الأذرع المتفرعة من «طلعت حرب» في عمق القاهرة الخديوية وعلى أطرافها، فالشارع نفسه يحظى بعدة تقاطعات؛ ليشكل شرياناً حيوياً لوسط المدينة، مثل تقاطعه مع شارع عبد السلام عارف عند النادي الدبلوماسي، وشارع قصر النيل بسينماه الشهيرة التي شهدت في الماضي حفلات حاشدة لـ«كوكب الشرق» أم كلثوم، وهي دار السينما والمسرح التي أجهز عليها الزمن، وغطاها فندق شهير

يطل على ميدان التحرير، كما يتقاطع مع شارع عبد الخالق ثروت، الذي يضم نقابات المحامين والصحافيين والممثلين ونادي القضاة، ويلتقي في نهايته مع شارع 26 يوليو، المعروف سابقاً بشارع فؤاد.

ويشرح التميمي كيف أن «شارع سليمان باشا الذي تحوّل إلى طلعت حرب، بدأ على أنه شارع قصور ثم أصبح شارع عمارات إلى أن أصبح الشارع التجاري الأشهر في العاصمة بسبب المحلات الكثيرة التي كانت تبيع الأزياء والعطور وأصناف الموضة وفق أحدث الصيحات الأوروبية، فكان يضج بالحياة، إلى أن جاءت فترة الستينات وتغيّرت التركيبة السكانية للشارع، في وعكة حضارية تعرضت لها مصر خلال آخر 50 سنة».

وأوضحت الدكتورة سهير زكي حواس أنه «مع الوقت أسيء استخدام أعمال الديكور التي زحفت على واجهات المباني، مع إهمال أعمال الصيانة، إلى أن تأسست منذ سنوات شركة حكومية لإدارة الأصول العقارية لضبط وإحكام إدارة العقارات المميزة في وسط البلد».

كما أشارت إلى «ما تقوم به شركة الإسماعيلية، وهي شركة خاصة تعمل على ترميم وإعادة توظيف هذه المباني لأغراض ثقافية وسياحية وترفيهية وفق رؤية تنموية متطورة، نأمل أن تحذو حذوها شركات أخرى».

ونوّه صاحب مبادرة «أرواح في المدينة» إلى أن منطقة وسط البلد تشهد راهناً حالة من الصحوة ورغبة في إعادة المباني لأصلها، خصوصاً في شارع طلعت حرب، ويستدرك: «وسط البلد بشوارعه التاريخية ليس فقط حجارة ولكنه حجارة وسلوك بشري، لأن هناك زحفاً عشوائياً على هذه الأماكن يشوّه قيمتها الحضارية، فقديماً كان الوجه الحضاري يظهر في مفردات كثيرة، حتى في ملابس الجرسونات على المقاهي بالجاكيت الأبيض والبابيون، ويجب استعادة هذه الثقافة في شارع طلعت حرب وغيره من شوارع وسط البلد».

مواضيع آثار مصر
